

# التوبة

## (مطالب الاعتراف الصحيح)

هل يحثك قلبك كي تأتي إلى المسيح ؟ هل حقاً تود من كل قلبك أن تعرف المسيح يسوع ، وتعترف به كمخلصك وربك الشخصي ؟ هل تريد أن تكون في سلام مع الله ؟ إذا أجبت بنعم ، إذن عليك تلبية مطالب الاعتراف الصحيح بالإيمان بالمسيح ، فالدعامتان الأساسيتان للاعتراف الصحيح هما التوبة والإيمان . وهما ليسا عنصرين منفصلين عن بعضهما لكل إنسان مجدد، فأنت لا تستطيع الحصول على أحدهما دون الآخر ، فلو أنك تبت توبة حقيقية عن خطاياك ، فحتماً ستأتي بإيمان للمسيح . وإذا آمنت حقاً بالمسيح ، فلن تستطيع إلا أن تتوب عن خطاياك .

والتوبة والإيمان - يأتیان معاً ، فلا يسبق أحدهما الآخر ، وإن كانت التوبة تعتبر السابقة ؛ إذ أنها الأساس في إدراك التأكيد الكتابي على ضرورة الإيمان وأهميته .

## التوبة

كانت التوبة هي رسالة أنبياء العهد القديم ، وكذلك رسالة يوحنا المعمدان . فقد بشر يوحنا بالتوبة حتى يمهد الطريق للمسيح الآتي . وقد أكد المسيح نفسه على أهمية التوبة في أولى عظاته ؛ التي سجلها الرسول مرقس : " قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله . فتوبوا وأمنوا بالإنجيل . " (مر 1: 15) لقد قال بوضوح " لم أت لأدعو أبراراً ، بل خطاة إلى التوبة . " (لو 5 : 32) . إنها ضرورة ملحة : " إن لم تتوبوا ، فجميعكم كذلك تهلكون . " (لو 13 : 3 ، 5) .

إذن ، ما هي التوبة الصادقة ؟ " التوبة للحياة هي نعمة مخلصه ، بها يأتي الخاطئ بإحساس صادق عميق بخطيته ، وبإدراك لرحمة الله في المسيح، وفي ندم وبغضة لخطيته متحولاً عنها إلى الله برغبة كاملة وسعي جاد . " (تعليم ويستمنيستر الموجز س/ ج87) .

والمعنى الأصلي لكلمة توبة في العهد الجديد هو " تغيير القلب أو الذهن." التوبة هي تغيير في القلب يمنحه الله ، وتتضمن عدة أوجه :

#### أولاً : الاعتراف بالخطية :

الوجه الأول للتوبة هو الاعتراف بالخطية . لا بد أن يتغير موقفك من الخطية . ولا بد أن تقتنع بأنك خاطئ ، ولا يمكنك الاعتراف بذنوبك إن كنت تعتقد في قلبك بأنك بريء ولم تقترف ذنباً . " لأن بالناموس معرفة الخطية . " (رو3 : 20) . وناموس الله يتطلب - كما ذكر بها يسوع الفريسيين - أن " تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك " وأن " تحب قريبك كنفسك " (متى 22 : 37 ، 39) . لا أحد يفعل ذلك ، لأنه لا يمكن لأحد أن يفعل ذلك .

لا بد أن نعترف بخطيتنا . لا بد أن نتفهم ميلنا الزهو والرياء ، ونكف عن تخدير ضمائرنا المثقلة بالذنوب ، وعن اراحتها بعمل مقارنات بالآخرين . قال داود في مزاميره " لأني عارف بمعاصي . " (مز 51 : 3) . لا بد أن نشترك مع الابن الضال في قوله " يا أبي ، أخطأت إلى السماء ... " (لو 15 : 21) . عندما تصرخ بقلب منكسر وبروح منسحق " اللهم ارحمني أنا الخاطئ . " (لو 18 : 13) ، عندئذ تكون في أول طريقك إلى التوبة الحقيقية ، إذ ان التوبة الكاملة تشمل أكثر من ذلك .

#### ثانياً : الحزن على الخطية :

وجه آخر للتوبة هو الحزن على الخطية . " لأن الحزن الذي بحسب مشيئة الله ينشئ توبة لخلاص بلا ندامة . " (كو 7 : 10) . هذه ليست مجرد عذاب الضمير -

ولا شعور بالأسف ورثاء للذات . إن بولس يسمي هذا الحزن " حزن العالم " وينبهه بأنه " ينشئ موتاً . " (2كو7 : 10) .

لقد ندم يهوذا ندماً شديداً لأنه أسلم يسوع . لقد انتابه شعور بحقارته ودناءته لم فعل ، لكنه خرج وشنق نفسه . فمع أنه تملكه شعور بالندم الجارف حين أدرك أنه " أسلم دماً بريئاً . " (متى27 : 4) ، إلا أن ندمه تركز في نفسه . لم يتب توبة حقيقية ، وإلا لكان التمس الغفران من المخلص . فندمه كان ببساطة ندم شخص عادي ، أدرك فجأة هول ما صنع . نعم ندم ولكن بسبب تبعات وعواقب فعلته ، لا أكثر .

الندم الحقيقي يتركز في الله ، إذ أنه ندم وليد المحبة . فالذي يحزن حقاً على خطيته ، يدرك أنه أخطأ في حق الله وأحزنه . إليك بمثل يحدث مراراً في بيوتنا : تخرج فتاة للنزهة مع أترابها ، وتوصيها أمها ألا تتأخر عن ساعة معينة ، إلا أنها تعود ساعتين بعد الميعاد المتفق عليه ، فتستقبلها أمها بنظرات القلق والغضب ، قائلة " يا ابنتي .. لم استطع النوم حتى رجوعك ، لقد أفلقتيني عليك ، خفت لئلا يكون قد أصابك مكروه . إنني جد حزينة لعدم طاعتك لي . لماذا فعلت هذا ؟ ولأن الفتاة تحب أمها ، فسوف تدرك كم كانت طائشة وأنانية وغير مطيعة ، وسوف تبادل بالاعتذار التالي " أماه ، إنني حقاً نادمة على عدم طاعتي لك . فأنا لم أدرك كم سيكون قلقك علي . " وهي تعني كل كلمة تنطق بها. هذا هو الندم الحقيقي . هكذا تماماً ، لا بد للندم الحقيقي أن ينبع من محبة الله ، فالخاطئ التائب يحزن ويأسف لأنه قد أحزن من يحبه .

### ثالثاً : التحول من الخطية إلى البر :

تستلزم التوبة الحقيقية ما هو أكثر من الاعتراف بخطيتنا ، والندم على إحزان الله . فالأمر الأكثر أهمية ؛ هو ترك الخطية والتخلي عنها ، فإحدى الكلمات المستخدمة بالكتاب المقدس للتعبير عن التوبة هي " التحول عن ... أو الابتعاد عن... " . فالتوبة عن الخطية هو التحول عن الخطية إلى الله ؛ برغبة ملحة في طاعته .

وتعني التوبة أيضا درجة من الندم ؛ تكفي للإقلاع عن الخطية . فنحن سنكره الخطية ونقلع عنها لأنها تغضب الله ، ولن نعود ثانية لنستمتع بالخطايا المحببة لنا ، فالقطع النهائي للعلاقة مع الخطية هو فقط الذي يجدي (انظر لوقا 18 : 18 - 22 ، 2كو 7 : 11) . وعلى ذلك سوف يتغير كل اتجاهنا في الحياة تغيراً كاملاً . حين تجدد شاول وهو في الطريق إلى دمشق ، كانت كلماته الأولى هي : " ماذا أفعل يا رب ؟ " (أع 22 : 10) . ومن تلك اللحظة لم يعد " ماذا أريد أنا - شاول - ؟ بل " ماذا يريد الرب " . وسوف تصبح صلاتنا اليومية : لتكن لا مشيئتي بل مشيئتك " .

#### رابعاً : ثمار التوبة :

عندما نتوب توبة حقيقية ، سيحدث تغيير شامل في القلب . سنكره الخطية التي يكرهها الله ، وسوف نحب ما يحبه هو . وكننتيجة لهذا التغيير في القلب سوف يكون هناك " أثمارا تليق بالتوبة " (لوقا 3 : 8) . وسوف تظهر حياتنا هذا التغيير الذي حدث في قلوبنا . وينبع من هذا التغيير مثابرتنا وجهدنا لإطاعة الله الذي تحولنا إليه . ولكن هذه الطاعة التي تتبع من التوبة لا تستحق رحمة الله . فكما أن التوبة أساسية وجوهرية لنيل الخلاص ، كل دموع العالم لا تبررنا أمام الله . فغفران الله ليس هو المكافأة لدموعنا ونتيجة لتوبتنا . فالغرض من توبتنا لا أن يذوب قلب الله نحونا . الغرض من توبتنا هو أن ندرك عجزنا وحالتنا الميئوس منها، وحتى تقودنا ، أو حتى تدفعنا ، إلى المسيح لننال الغفران . فكما تقدمنا في التوبة ، زاد إدراكنا بنقصان توبتنا ، ولأن توبتنا لن تكون كاملة ؛ لهذا فنحن نحتاج إلى مخلص .

#### الإيمان

المطلب الرئيسي للتمتع ببركات موت المسيح وقيامته هو الإيمان بيسوع المسيح . والسؤال الأهم في الحياة هو " ماذا أفعل لكي أخلص ؟ " والإجابة من كلمة الله " آمن بالرب يسوع المسيح فتخلص " (أع 16 : 31) .

لقد أعلن المسيح انه " .. هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية . " (يو 3 : 16) . وكتب بولس " لأنك إن اعترفت بملك الرب يسوع وأمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصت " . (رو 10 : 9) .

وهكذا نرى أن الإيمان هو الأداة التي ننال بها بركات خلاص المسيح ، لهذا نحتاج أن نفهم جيداً ما هو الإيمان المسيحي . ماذا نعني بقولنا " الإيمان بيسوع المسيح " ؟

### أولاً : إنه مبني على المعرفة :

الإيمان بالمسيح يتطلب معرفة المسيح . لا بد أن تؤمن بشيء ما أو شخص ما ، فما من أحد يؤمن بما لا وجود له . فأساس الإيمان أن يوجد مفعول به لهذا الإيمان والمسيح هو موضوع الإيمان المسيحي . وقبل أن تؤمن بالمسيح ، لا بد لك أن تعرف شيئاً عنه أولاً . ولا يستلزم الإيمان أن نعرف كل شيء عن المسيح ، في واقع الأمر ، ما يجب معرفته هو النذر اليسير . فقد جعل الله الطريق إلى المسيح غاية في البساطة ، حتى أن طفلاً صغيراً يمكنه معرفته ، لكن بالرغم من صغر معرفتنا ، إلا أننا لا بد أن نعرف شيئاً . والحد الأدنى لهذه المعرفة جاء في كلمات بولس " .. المسيح يسوع جاء إلى العالم ليخلص الخطاة الذين أولهم أنا . " (1 تيمو 1 : 15) . هذه المعرفة تتضمن إدراك من هو المسيح : إنه الأفتنوم (الشخص) الثاني في الثالوث ، إله من إله ، ابن الأب الأزلي . كما تتضمن أيضاً حقائق معينة عنه: جاء إلى العالم مولوداً من عذراء ، منزه عن الخطية ، وفي النهاية صلب خارج أورشليم . وفي المعرفة أيضاً السبب الذي لأجله مات وقام : لقد جاء ليخلص الخطاة ، لكن هذه المعرفة تتضمن أيضاً من هم الخطاة الذين جاء ليخلصهم . أنني أقف على رأس قائمة هؤلاء الخطاة ، لقد مات عني أنا .

### ثانياً : الاقتناع (أو التصديق) :

أن تعرف عن المسيح ليس بالضرورة هو الإيمان بالمسيح ، فكثيرون يعرفون الكثير عن المسيح ، ربما قرأوا الكتاب المقدس مراراً كثيرة ، من أوله إلى آخره ، ومع ذلك فهم لا يؤمنون بالمسيح . فلكي يكون لك إيمان بالمسيح ، لا بد أن تقتنع أنه هو وحده الحق ، فقبول العقل لهذه الحقيقة ضرورة ملحة . ثم "يعلن المؤمن الحقيقي : المسيح هو ابن الله ، كما قال هو " . الإيمان هو اقتناع مؤسس على برهان كاف لإقناع العقل . فما لم يقتنع العقل ، لا يستطيع أحد أن يؤمن إيماناً حقيقياً . لكن ، لا تدع الشك يقودك إلى اليأس ، فالمسيح يتفهم جيداً ويصبر كثيراً على كل المتشككين المخلصين . حتى توما ، أحد تلاميذه ، شك في أمر قيامة المسيح من الأموات ، وأعلن أنه لا يمكن أن يؤمن أن يسوع قام ؛ حتى يضع يده في جنب المسيح ؛ ويضع إصبعه في مكان المسامير . أنصت لِمَ قاله يسوع لتلميذه المتشكك : " هات إصبعك إلى هنا وأبصر يدي وهات يدك وضعها في جنبي ولا تكن غير مؤمن بل مؤمناً " . (يو 20 : 27) .

وهو يوجه نفس الدعوة إليك . فيسوع ، خلاف كل البشر - يرحب بالاستقصاء والبحث . فهو يعلم أنه كلما بحث الناس عنه بأمانة وإخلاص ، كلما ازداد الرجاء في إيمانهم به . فعندما رأى توما بعيني رأسه المسيح المقام واقفاً بجسده أمامه ، صاح " ربي وإلهي ! " (يو 20 : 28) . لقد اقتنع توما ، وأصبح المتشكك مؤمناً . فالإيمان ليس شيئاً ضد العقل أو منفصلاً عنه ، كما يدّعي بعض العقلانيين ، لكنه - أي الإيمان - يبدأ بمعرفة الحق ، وهذه المعرفة لا بد وأن تقودنا إلى الاقتناع الراسخ بأن يسوع هو ابن الله حقاً .

### ثالثاً : الثقة :

إذا توقفنا عند هذا الحد ؛ نكون قد أهملنا جانباً هاماً من الإيمان ، يُمكنك أن تعرف الكثير عن المسيح ، ويُمكنك أن تقتنع بلا أي شكوك بأنه ابن الله الحي . لكن لو اكتفيت بذلك يكون لك إيمان عقلي وهو ما يسمى " بالإيمان التاريخي " .

فأنت لم تحصل بعد على الإيمان الذي يقودك إلى الخلاص . فالإيمان بالمسيح الذي يمنح خلاصاً حقيقياً بالمسيح يستلزم " الثقة " في المسيح . فالكتاب المقدس يذكر أنه حتى الشياطين يؤمنون ويفشرون (يع 2 : 19) إنهم يعلمون حق العلم من هو المسيح ، وهم مقتنعون تماماً بحكمته ، قوته ومجده ، لكنهم لا يثقون فيه ، بل يثقون في أنفسهم . وهناك كثيرون مثلهم ، يعرفون من هو المسيح ، بل قد يؤمنون بأنه قام من الأموات ، ولكن لا يثقون فيه البتة ! إنهم يفضلون أن يثقوا في أنفسهم ، في سجاياهم وأعمالهم الحسنة . إنهم يرفضون الثقة في شخص المسيح وفيما عمله للخلاص .

سُئلت سيدة مؤمنة فقيرة ولكنها فطنة ، سُئلت عمّا هو الإيمان ، فأجابت: " أنا جاهلة ، ولا يمكنني الإجابة الجيدة ، ولكنني أعتقد أن الإيمان هو تصديق ما قاله الله " . يا لغنى حكمته ! فهذا هو الإيمان تماماً . إنه تصديق ما قاله المسيح ، والثقة في كل وعد نطق به لنا ، فهو يريد ويقدر أن يفي بما وعد .

" الإيمان بيسوع المسيح هو النعمة المخلصة التي بها ، نقبل يسوع ونركن إليه وحده لنوال الخلاص ، كما هو مقدم لنا في الإنجيل " (التعليم الموجز س / ج 86) . الإيمان ليس أن تعمل شيئاً ما أو استحقاق ما عملته . الإيمان هو ألا تعمل شيئاً . بل تقبل كل شيء ! فالمسيح قد أكمل خلاص شعبه على الصليب، وأصبح غفران الخطايا والحياة الأبدية هبات مجانية لمن يقبلها . " وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله ، أي المؤمنون باسمه " (يو 1 : 12) . قال جون كالفن " يا يسوع ، أنا لم أكن مستحقاً لك بمحبتتي لك ، لكنك أنت أحببتني بكامل إرادتك . أتى إليك مجرداً وفارغاً ، لكنني أجد كل شيء عندك " .

أرسل قائد مئة روماني رسلاً إلى يسوع ؛ يسأله أن يشفي عبداً يحتضر قائلاً : " يا سيد ، لا تتعب . لأنني لست مستحقاً أن تدخل تحت سقفي . لذلك لم أحسب نفسي أهلاً أن أتى إليك . لكن قل كلمة فيبراً غلامي " . (لو 7 : 6 ، 7) . لقد عرف القائد الروماني شيئاً عن يسوع ، وكان مقتنعاً بحاجته إليه ، وكان مستعداً أن يثق فيما يقوله

له . فتعجب يسوع وقال . " أقول لكم : لم أجد ولا في إسرائيل إيماناً بمقدار هذا ! " .  
(عدد9) . هذا هو الإيمان المسيحي ، انه تصديق ما يقوله الله ، والاتكال على كل  
وعوده ، والاستناد عليه في تجارب الحياة ، والثقة في النعمة الغافرة . أمّا بعد قبولنا  
للمسيح ، لا بد أن نواصل الاتكال عليه ، فالإيمان ليس شيئاً نمارسه مرة واحدة في  
حياتنا ، لكنه ممارسة يومية . فنحن نحيا بالإيمان، ونستند على المسيح كل يوم .

#### رابعاً : دليل الإيمان الذي يخلص :

" لأنكم بالنعمة مخلصون ، بالإيمان ، وذلك ليس منكم . هو عطية الله . ليس من  
أعمال كيلا يفتخر أحد . لأننا نحن عمله ، مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة  
، قد سبق الله فأعدها لكي نسلك فيها . " (أفسس 2 : 8 - 10).

فالخلاص لا يؤسس على كيفية حياتنا ، ولكن على عمل المسيح على الصليب  
فقط . ونحن بالإيمان نقبل هذا العمل كهبة مجانية . فالأعمال الصالحة لا تخلص ،  
ولكنها تأتي كنتيجة للإيمان وكثمر له ، لأن الإيمان يوحدنا بالمسيح يسوع . فنحن  
سنعمل أعمالاً صالحة لأن حياته أصبحت فينا . وسوف نحيا بالإيمان لأننا خلصنا .  
وسوف يظهر إيماننا من خلال محبتنا . (إقرأ غل : 2 ، 16 ، 20 ، 5 : 6) .

## أسئلة للمراجعة

- 1 - من الذي جاء مبشراً برسالة التوبة ؟
- 2 - ما هي العناصر الثلاثة للتوبة الحقيقية ؟
- 3 - هو نوع الندم على الخطية الذي يبرهن على التوبة الحقيقية ؟
- 4 - ما هو العنصر الأكثر أهمية للتوبة الحقيقية ؟
- 5 - ما هي ثمار التوبة الحقيقية ؟
- 6 - هل توبتنا تكفي لخلصنا ؟ ولماذا ؟
- 7 - ما الذي يجب أن نفعله لكي نخلص ؟ أجب بآية من الكتاب المقدس .
- 8 - ماذا تفيد معرفة الحقائق عن المسيح من حيث الإيمان به ؟
- 9 - ما هو الحد الأدنى من المعرفة التي نحتاج أن نعرفها عن المسيح حتى نصبح مؤمنين ؟
- 10- هل يمكن أن نؤمن بالمسيح ونحن غير مقتنعين بأن كل ما قاله وما فعله حقيقي ؟
- 11- ماذا يدعونا المسيح لنفعله إذا كانت لنا شكوك حوله ؟ (يو 20 : 26 - 31) .
- 12- ما هو العنصر الأكثر أهمية في الإيمان بيسوع المسيح ؟  
كيف ظهر هذا العنصر في قائد المئة الروماني ؟
- 13- ما هو الإيمان بيسوع المسيح ؟ (أجب من واقع التعليم الموجز) .
- 14- بماذا وعد أولئك الذين يؤمنون بالمسيح ؟
- 15- لماذا نعمل أعمالاً صالحة ، مادمناً قد خلصنا بالإيمان ؟

## آيات الحفظ

(مز 1 : 1 - 3)

" طوبى للرجل الذي لم يسلك في مشورة الأشرار ؛ وفي طريق الخطاة لم يقف ؛ وفي مجلس المستهزئين لم يجلس . لكن في ناموس الرب مسرته وفي ناموسه يلهج نهارا وليلا ، فيكون كشجرة مغروسة عند مجاري المياه التي تعطي ثمرها في أوانها وورقها لا يذبل وكل ما يصنعه ينجح . "

### أسئلة للمناقشة

- 1 - ما هو مقدار الإيمان المطلوب للخلاص ؟ (مر 9 : 20 - 24) .
- 2 - هل كل من يقول " أنا أوّمن بالله " يخلص ؟ (يع 2 : 19) .
- 3 - هل تظن أننا نحتاج أن نولد ثانية من الروح القدس . قبل أن نؤمن بالمسيح ؟ (يو 1 : 12 ، 13) .
- 4 - إذا لم يكن الجميع أولادا لله ، فلماذا تتوب أنت وتؤمن ، بينما لا يفعل ذلك الآخرون ؟ (أع 11 : 18 ، أع 13 : 48) .
- 5 - كيف نعلم إن كان لنا إيمان بالمسيح أم لا ؟ (1 يو 2 : 3) .
- 6 - هل يمكن أن نفقد ضمان إيماننا بالمسيح ؟ كيف يمكن استرداده ؟
- 7 - إذا كان الخلاص بالنعمة يتم بالإيمان فقط ، فكيف يمكننا أن نفسر ما جاء في (يع 2 : 24) .
- 8 - هل تظن أننا يمكن أن نفقد إيماننا المسيحي بعد حصولنا الحقيقي عليه ؟ (في 1 : 6) .
- 9 - هل يمكن أن تكون لك محبة مسيحية بدون الإيمان المسيحي ؟ (غل 5:6).